الجنس اللطيف

السنة الاولى | العدد العاشر | ابريل سنة ١٩٠٩

الأم (١)

الأم العاقلة أعظم مربٍّ لولدها تملأ جراب عقله بالمعدات اللازمة للجهاد في المعترك الذي ستدفعه اليه يد الطبيعة . تشير اليه بتلك اليد التي لا تخطئ الطريق الصواب . تشغل فراغ عقله باقوال الصدق والحق حتى يكون قادراً على مكافحة أعدائه الثلاثة : العالم والجسد والشيطان

ما أسعد طفل هذه حالة امه . فقد يكون له معلمين آخرين في المدارس وغيرها ولكن نصائحها وحدها هي التي ترنّ في أذنه ويدب دبيبها بقلبه وتبقى منقوشة على صفحات صدره طول الحياة « توماس هنتر »

« على أخلاق الأم تشب البنت »

« مثقال من ارشادات الأم يربو على قناطير من نصائح الاستاذ »

قول حكيم

تقابل سائح ووطني في احدى شوارع توكيو من اعمال اليابان ـ وفي اثناء الحديث عن عجائب ارض « المشرق » قال الوطني :

— « ولكن هل نظرتها » ؟

---

(١) معربة عن الانكليزية

— « وما هي » ؟

— « انك ما كنت تسأل هذا السؤال لو كنت رأيتها » .....

وتقابلا ثانية بعد ان تمتع السائح برؤية « زهرة اليابان » وهي عبارة عن « الجبال المقدسة » وجبل فوجياما العظيم الذي يبلغ ارتفاعه آلاف من الاقدام عن سطح البحر وتغطي قمته ثلوجاً ناصعة البياض تسطع عليها أشعة الشمس الذهبية فتنعكس عنها انوار تتلألأ كالفراقد تملأ العيون بهجة والصدور انشراحاً وهي اجمل ما يراه الزائر في هذه البلاد حتى انهم سموها « زهرة اليابان » . ولشدة افتخارهم واعجابهم بهذه المناظر الطبيعية الجميلة صاروا يرمزون لها بالضمير (هي « It »)

وقد يندهش القارئ لتسميتها هكذا ولكن والحق يقال انها زهرة العالم اجمع

ثم تقابل الرجلان مرة اخرى فتبادلا الاحاديث وأظهر في خلالها السائح شدة اعجابه من هذه البلاد وما خصها الله من البهاء . . . . . وبعد مضي بضعة أشهر وفق الياباني لزيارة امريكا فقضى ايامه الاولى في البحث والتنقيب عله يجد شيئاً يضارع ذلك الجبل المقدس في بلاده الذي خصته الطبيعة ببهاء وجلال نادرين فلم يجد ذلك

تنقل ما بين المحيطين الهادئ والاطلانتيكي وشاهد جبالاً شامخة وصخوراً شاهقة وحدائق غناء وأبنية ضخمة تناطح السحاب ولكن لم يحلُ في عينه شيء من كل ذلك

وكان في اثناء رحلاته من بلدة الى اخرى ينزل ضيفاً على العائلات

الاميركية لوفرة معارفه . ففي احد الايام استيقظ من نومه وكانت الغزالة ظهرت في الافق ودخلت أشعتها غرفته فرأى كل ما حوله يدل على سلامة ذوق في الترتيب مما زاد ذلك المنظر رونقاً وحسناً فصاح لوقته قائلاً « ها قد وجدتها وهي أعظم بكثير من زهرة بلادي — نعم ان زهرة امريكا هي عيلاتها ....

فاذا أقرّ ذلك الياباني معترفاً بان زهرة امريكا هي « عيلاتها » حق لي ان أقول ان زهرة العيلة هي « الأم » - والى القراء البرهان القاطع ....

ولد بالغ من العمر خمس سنوات عاد لمنزله يوماً وبعد ان خلع قبعته وعلقها تنفس الصعداء قائلاً « هذا هو بيتي » فخاطبته احدى الزائرات قائلة « ان البيت المجاور لهذا يشبهه كثيراً فهل اذا قصدته وعلقت قبعتك في ردهته كما فعلت الآن تسميه بيتك » ؟

فأجابها الولد « كلا يا سيدتي »

« لماذا » ؟

« لاني لا اجد امي فيه »

فدهشت الزائرة لجوابه المقنع وبشت في وجهه

وفي الواقع ان الام ولو جهلت مركزها فهي عماد البيت بل هي العيلة باسرها من اب وام وأخ واخت وانيس وصديق

سألني ولدي مرة قائلاً « هل الجو ينذرنا بعاصفة » ؟

فأجبته « كيف ذلك انني لا ارى ظلاماً . فالشمس مضيئة ونورها ساطع »

فركض الطفل الى النافذة وعاد اليّ قائلاً « انه حقيقة كما تقولين يا اماه . ولكن الظلام مخيم هنا . فهل تسمحين لي بالخروج لأتمتع بنور الشمس الباهي » ؟

فدهشتُ من ذلك الطلب وعلمت انه لم يقصد بذلك الظلام سوى ما رآه مرتسماً على محياي من علامات الكدر والملل التي رافقتني منذ الصباح . فأجبته « نعم يا عزيزي يمكنك الخروج وأمك ترافقك »

وعند عودتنا ونحن متهللان فرحاً وسروراً قال لي ولدي (كانه يعنفني بغير قصد)

« ما اجمل البيت الآن وما ابهاه وما احلى تلك الابتسامات اللطيفة التي ترتسم على محياك كل آونة واخرى »

فما أرق ذلك الشعور وما اجلّه . شعر ذلك الولد عند عودته لمنزله وتفرسه في وجه امه ان البيت اصبح ظلاماً بما رآه من غيوم الكآبة والضجر المنتشرة في سماء وجهها الصافي فلم تحسن له الاقامة في المنزل وفكر في الخروج منه ليتمتع ببهاء الشمس ونورها الساطع . فادركت امه ماجال بخاطره وشاركته في رقيق شعوره واحساسه وخرجت معه كي تفرج عن كربتها

ومن البلية انّ كثيرات من الامهات يعتبرن واجبهنّ منحصر فيما تقدمنَ لاولادهنّ من المأكل والملبس وردعهم عما يرتكبون من الاثام في يومهم بل ان كثيراً منهنّ لم يفكرن لحظة واحدة في الطرق الناجعة التي تستخدمنها للقيام بهذه الواجبات . نعم انهنّ لا يفكرن البتة في اعداد

اولادهنّ للدخول في ادوار الفتوة والرجولية او البتولية والأمومية ان شمس العرفان لم تشرق لهنّ عن تفهيم اولادهنّ بانهم وان كانوا جزءاً صغيراً في الوجود الا ان هذا الجزء ذو اهمية عظمى في الحياة والفكر وعالم الجهاد فان حسنت نشأته كان حسناً وان فسدت كان شراً تلعنه الاجيال القادمة . بل ان الأمهات لم يهتدين لتعليمهم قيمة انفسهم وما يجب عليهم نحوها قبل ان يبثوا فيهم روح التضامن ومساعدة الغير

ايتها الامهات ابدأن في الاجابة على اسئلتهم الغريزية بأمعان وروية وصدق . احترمن افكارهم التي غرستها يد الطبيعة البشرية في افئدتهم حتى يتقووا في المعرفة والاّ انقلبت هذه الافكار الى متاعب وتجارب شتى قلّما تخلصوا من شراكها . اني اشعر ان الأمهات عند ما يقرأن هذه السطور ينادينني صوتهنّ قائلاً « اني لو فقهت الى ذلك اثناء القيام بتربية اطفالي لما تأخرت لحظة عن بث هذه الروح الشريفة في افئدتهم خصوصاً وان هذا لا يكلفني عناءً جديداً بل انه كان يوفر عليّ ما ينتابني الآن من عوامل الكدر والغم عند ما ارى ولدي على هذه الحال »

كثيرات من الفتيات اللاتي ضللنَ وذهبنَ ضحية الغواية والجهل تقع تبعة مسئوليتهنّ على رؤوس امهاتهنّ بسبب اهمالهنّ امرهنّ منذ البداية وعدم تزويدهنّ بآيات النصح والارشاد على اني لا انفك عن الاعتقاد بان الأم وحدها مسئولة عما يعرفه اولادها وما لا يعرفونه ولكن قد تقمنّ في وجهي قائلات كيف يتسنى لنا ان نهدي اولادنا الى الطريق الصواب بينما نحن لم نهدَ من قبل اليه ـ ولكن أفليس ذلك دليل

على صحة اعتقادي ؟ الآن والداتكنّ تقلصنَ من تبعة هذه المسئولية فأهملنَ امركنّ فهل في ذلك ما يدعو الى التشبه بهنّ والسير على منوالهنّ ؟

ان حاجتنا العظمى في الوقت الحالي أمهات متعلمات . ولا اقصد بالتعليم ما يتلقينه بالمدارس والكليات فقط بل يحرزنَ الصفات الكمالية للنفس فيكنّ متجليات بالنشاط والانتباه وسرعة الخاطر وتثقيف النفس وان لا يأوين داخل قلوبهنّ الا تلك الخصائل البشرية الطاهرة حتى يمكنهنّ غرس هذه البذور المقدسة في افئدة نتاجهنّ الصالح فتعطي ثمرًا ثلاثين وستين ومائة . بل يجب ان تضحي الأم وقتها وتتحمل الآلام في سبيل العناية ببيتها وما يحتاج اليه من اشغال فكر وانهاك بدن وفي سبيل تربية اولادها التربية النفسية والجسدية معاً .

فمثل هذه الأم يمكنها ان تستعد للأسئلة التي يفاجئها بها طفلها والتي هي من مستفزات الطبيعة يدفع اليها بعامل الفطرة فتحلها محلها من الاعتبار وتطعمه من فمها الطاهر الاجوبة الضرورية لحفظه من السقوط في قابل ايامه ...

وعلى الام ان لا تزجر ولدها او تجاوبه بغضب بدعوى عدم وجود الوقت الكافي للأجابة على اسئلته فان وقتها الثمين لا يجب ان يصرف الا في تسديد خطوات اولادها وارشادهم في مسالك هذه الحياة المتشعبة فتكون لهم كالكتاب يقرأون فيه حل كلما اشكل عليهم فهمه

كما ان المرأة المحبة لاولادها لا تدعهم يلجأون الى غيرها للاستفتاء عما يجهلونه بينما هي قادرة على ارواء تشوقهم من مياه الحقائق . بل يجب على

الام ان تتوخى الصدق في الاجابة على كل سؤال يوجهه اليه اولادها حتى لا يرتابون ـ ولو بالفكر في اي شيء من اقوالها

سألت فتاة يوماً احدى رفيقاتها عن خبر سمعته منها وارادت ان تتحقق صحته فاجابتها الفتاة على الفور « هذا الخبر حقيقي لانه هكذا قالت امي وحيث انها قالت فلا بد ان يكون كذلك » . فبارك الله فتاة هذا شعورها واما ذاك مبدأها

وتتسائل الامهات كثيراً عن الوقت الذي يشرعن فيه بتعليم اولادهن ما يختص بوجودهم وكيف يعيشون ابراراً . على ان ذلك يحسن عند ما يبدأون بتوجيه الاسئلة اليهن . وليس من الحكمة ان تكون الاجابة على اسئلتهم دائماً كاملة بل تكون بقدر ما تسعه عقولهم ثم تعقب الأم تعليمها بهذا القول « هذا كل ما يمكنك فهمه الان يا ولدي ومتى كبرت سافصح لك الامر اكثر ولكن عليك ان تقصد امك في كل ما يصعب عليك معرفته لان الله سبحانه وتعالى وهبك اماً لترشدك الى الطريق الحق وهي بصفتها أم يجب عليها ان تعرف ما يجب تعليمه لاولادها »

وطالما وُجه اليّ هذا السؤال : أليس من الخطأ ان تجيب الأم على كل سؤال ؟ وهل لا يدفعهم عقلهم الصغير على التحدث بها في كل الامكنة التي لا تليق بها ؟ كلاّ ايتها الام ان هذا لا يكون اذا علمتهم التعاليم الصحيحة وانك اذا قفلت في وجههم باب الاستفهام وصديتهم عنك يلجأون الى غيرك وربما كان هذا الغير ليس فيه من الحيطة واللياقة ما يؤهله الى ذلك فيرسل الى فؤادهم الطاهر تعاليم يخجل منها وجه الانسانية .

ولذا يجب ان تكون الاجابة على أسئلتهم بصدق وروية لا سيما فيما يتعلق بكيفية تكوينهم وولادتهم لان ذلك من ألزم ما يجب معرفته لهم والا شردت عقولهم وضلت في ظلمة الفساد والدعارة

وأطلب اليكنّ ايتها الامهات ان تمعنّ النظر وتراقبنَ بعين دقيقة كل ما حوته هذه السطور قبل ان تبدأنَ بالقاء الدروس على اولادكنّ وما تنطوي عليه من الرقة والطهارة

كما اني أسألكنّ ان ترجعنَ وتجردنها من كل صبغة مشوهة للاداب الناتجة عن قلة الاختبار والتعليم الحقيقي وتلبسنها ثوباً طاهراً ناصع البياض وبعد ذلك القينها على الاولاد والبنات كي لا تدعونا الحالة بعدئذٍ ان نقول للشبان والفتيات « تعلموا ما قيمة أنفسكم » اذ يصبح كل واحد منهم عارفاً كنه نفسه وما تحتاج اليه من الغذاء

بين احضان الأم تبدأ المدرسة الاولى لتعليم الاولاد الاشياء البسيطة . وسعيدة هي الام التي تخطو بأولادها الى سلم الارتقاء حتى يتم تعليمهم وتثقيف عقولهم

يسمي أهل الغرب الاطفال « بعلامة الاستفهام » ومنبع التساؤل ووعاء الاستفسار وهم محقون في ذلك لان نشأتهم الطبيعية وتركيبهم الفسيولوجي مما يجعلهم يدأبون وراء الوقوف على حقيقة كل امر وهذه سنة الله في خلقه . فقد جعل السعي في العالم وليس ثمّ سكون . فوجب اذاً على الأم ان تقابل ولدها بمحبة . باسمة له عن صراحة وحرية يستعين بهما على تبديد عوامل الخجل والخوف فتحل محلهما الثقة التامة والميل الكلي

لها ويوجه فكره نحوها للاستقصاء منجذباً اليها كما ينجذب الصلب نحو المغنطيس بتلك القوة الخفية ـ قوة الميل والصدق

«امّاه من اين جئت» ؛ هذا اول سؤال يعلق في عقل الطفل حينما يجلس للعب فيخيل له عقله الصغير انه كان على شكل آخر قبل ان يتمتع بهذه الالعاب

ولا تعدم الأم طريقة تُفهم بها ولدها هذا اللغز المقدس فان وجدت في نفسها قصوراً عليها ان تسلم قلبها الى الله العلي حتى يلهمها كل وسيلة توصلها الى غرضها . فاذا كانت عاجزة ايضاً عن ذلك عليها ان تقصد احدى صديقاتها او معارفها ممن تثق بحكمتهنّ وخبرتهنّ وتستمد منها الرأي حتى اذا ما رأت ان جوابها حقيقي ليس فيه ما يوجب الخجل او التردد عليها ان تسرع به الى ولدها . وفي اثناء ذلك يمكنها ان تقول له « اني مسرورة جداً بتوجيهك هذا السؤال اليّ ولكن كما اني احتاج الى وقت لكي أحيك لك رداءك الجميل كذلك لا بد لي من وقت ايها الابن المحبوب كي انظم افكاري على قدر ما يسعه عقلك »

بيدَ ان اسهل طريقة هي ان تضع الأم له مثل الطير فان البيضة التي يخرج منها الفرخ تبرزها الأم او الفرخة ثم ترقد عليها كي تحفظ حرارتها وتقيها من الطوارىء الجوية بينما الفرخ ينمو داخلها الى ان يكبر ولا يعود قادراً على البقاء داخلها فينقرها فتنكشف عن روحٍ نشطه ذات زغب « وما اشبه نموك بهذا ياولدي العزيز وبدلاً من ان يمكنك ان تنظر تلك البيضة التي هي الجرثومة التي نبتّ منها قد قضى النظام الالهي ان تحفظ

دافئة في محل خاص بها داخل جسد أمك . ومنها قد اخذ جسمك حياته ونمى الى ان صار طفلاً بضاً جميلاً ذو حركة . وحينذاك تربيت في احضان امك بعد ذلك واصبحت هكذا ولداً نشيطاً يحب امه وتحبه . ولكي تأمن غوائل التقلبات الجوية ايام يكون جسمك ضعيفاً جداً لئلا يقتلك البرد بقرصه او يزهق روحك الحر بشدته قضت التدابير الالهية ان تكون محفوظاً في محل مختبيء امين اثناء نموك . لان الامهات كثيرًا ما يكنّ مشغولات في قضاء اعمالهنّ التي تراني اعملها كل يوم من تنظيم المنزل وحياكة الملابس وغيرها وبهذا الشكل يمكن ان تحملك امك اينما ذهبت وحيثما سارت وكيفما عملت وانت محمول ومكنون في مهدك الصغير الذهبي صاغه لك الله حيث تشعر امك بتحركك في احشائها لانك تكون تحت قلبها مباشرة »

وقد حدث مرة ان ولداً سمع رحلة ولادته ولم تنته امه من حديثها حتى رأت ذراعي ابنها مشتبكين حول عنقها وعينيه مغرورقتين بالدموع وفاه بصوت ملؤه الحنان والرفق قائلاً « كم يجب ان يكون حب الاولاد شديداً نحو امهاتهم » . ومثل هذه التعاليم المفيدة ضرورية للولد كما للبنت . والحكاية الآتية كافية لتشجيع الامهات على تربية اولادهنّ على هذه المبادىء القويمة :

رزقت احدى الامهات ولداً وربته حتى بلغ الخامسة عشرة من العمر بدون ان تعلمه شيئاً عن كيفية وجوده في هذا العالم — كما يتفق كثيراً بين الاولاد — فتلقى كل تعاليمه بعيداً عن مدرسة امه واتخذ له

رفقاء خارج البيت ليسوا صالحين للعشرة الحسنة . فاخذت الأم تشكو عدم ثقة ولدها بها وابتعاده عنها الى ان قالت لاحدى صديقاتها يوماً انه تربى بعيداً عني فقالت لها ولماذا لا توقفينه على قيمتكِ الحقيقية — خصوصاً وانك في ايام الوضع الاخيرة — ويغلب على ظني انكِ تكسبينه وترديه اليكِ . فاجابتها بانها لا يمكنها ان تفاتحه في شيء من ذلك القبيل لانها لا تدري ماذا تقول . فسألتها وهل تظنين انه لا يعرف ذلك للآن فقالت انني واثقة من وقوفه على حقيقة هذه الامور لانه يُظهر استحاءً وخجلاً كل ما نظر اليّ

اذاً لماذا تخافين من اطلاعه عليه ؟

وتبع ذلك حديث طويل لامت فيه الأم نفسها لاهمالها تعليم ابنها كل ما يجب معرفته وعقدت النية على مشافهته بالامر . وقد مضى زمن ولم تتمكن من ذلك حتى حان وقت ولادتها فعاد الولد مسرعاً الى البيت وقصد امه فوجدها منفردة في غرفتها — لان أباه كان توجه لاستدعاء الطبيب — وعندما وقع نظره عليها سألها «ماذا أصابكِ يا امي هل أنتِ مريضة ألا يمكن مساعدتكِ في شيء ما»

عند ذلك تنبهت الأم الى عزمها السابق ورأت ان الفرصة سانحة فبادرته بالحديث وهي تتقوص تحت اثقال الآلام « اني سأضع الآن مولوداً يا بني » قالت ذلك وأخذت تتلوى مع الجنين المتحرك في احشائها وتمخض ساعات الولادة

فالوقت انفعل الابن من تلك الحال وطوق عنق أمه بيدين انصع

من اللؤلؤ وارق من القلادة وقال والدمع يترقرق بين عينيه الصغيرتين « اماه .ما كنت اشعر ابداً انك تحتاجين اليّ . أماه .كنت اظن انك لا تريذين ان توقفيني على هذا لانك ما تحدثت به امامي ولكن لِمَ لم تفعلي ذلك حتى كنت اعلم ان امي تحتاج الى اشفاقي ومشاركتي لها في اتعابها »

وهناك اضطربت شرايين العيون فتفجرت عن دموع سالت على الخدود كالأنهار فأوقدت في النفس نار الندم وصارت تأكل هذا التجافي القديم حتى أتت على آخره فانقشع انفعالهما عن محبة زائدة ورابطة متينة وثقة شديدة بين الأم والابن ....

الجنس اللطيف

« لِما يذبل قبل الأوان»

« وما هي الطريقة الواقية له من تلك الآفة »

﴿ تمهيد ﴾

ان خير ما غزلت به الشعراء وغالى في وصفه الفصحاء والبلغاء وتزينت بذكره الطروس وسارت به الركبان واتفق على اعزازه الخاص والعام غادة حسناء وكاعب هيفاء ولا سيما اذا كانت ذات عقل وكمال عريقة في الحسب والنسب حميدة الخصال فهي الدرة اليتيمة والجوهرة الغالية القيمة واي شبه اقرب المليحة الميساء من الزهرة الفيحاء اذ الاثنتان مشتركتان في النمو والنضارة ممتازتان بالبهاء والرونق . انظر الى الوردة اذا هب عليها نسيم السحر العليل وانتثر حولها در الصباح البليل وبزغت عليها اشعة الشمس